

## مصطفى الرزاز .. حياة ملأها الفن

كتبت: سماح عبد السلام

”لا يُخيل للدكتور مصطفى الرزاز استكمال الحياة من دون الرسم. ذلك المجال الذي يحيا به وإليه. هو كالهواء الذي يستنشقه. لطالما صاحبه ”فوبيا“ التوقف عن مزاولته يوماً ما، إلا أنه يصر دائماً على هزيمة خوفه بالممارسة الفنية المستمرة، متحدياً أي عائق من شأنه أن يثنيه عن موهبته الأوى وعشقه المعلن للفن التشكيلي. لم تبعده هموم العمل الأكاديمي ولا الإداري عن كونه فناناً تشكيلي.. فهناك كل عام يُقام معرضاً أو اثنين باسم مصطفى الرزاز، حتى وصلت معارضه الفردية قرابة الـ ١٣٠ معرضاً، بخلاف مشاركاته الجماعية وكتاباته الفنية التي اتسمت بطابع خاص أثرى الحركة التشكيلية.

### بزوغ الموهبة وتحدياتها

بزغت موهبة د. الرزاز في الرسم بالمرحلة الإعدادية، بل فرضت تحدياتها عليه من خلال قيامه بعدة مجازفات أكدت على سريان الفن في عروقه مجرى الدم. فخلال دراسته بمدرسة محمد فريد، والتي تعافت مع الفنان حسن حشمت لمتابعة الموهوبين في مجال الفن التشكيلي فقام باختيار ”الرزاز“ ويبدو انه رأى عفريت الفن لديه، حيث كلفه بعمل جدارية كبيرة بمدخل المدرسة بالخزف، وحتى أنهم قاموا ببناء فرن أعلى سطح المدرسة لحرق الخزف فتعلم تكوين الجليز ودهنه. وفي هذا الوقت كانت الثقافة المصرية جيدة. لديها مجلات مثل ”المجلة والكاتب والهلال“ حيث تضمنت مقالات عن الفنون. فكان يحرص على قرائتها بنهم شديد ومنها يستمد ثقافة فنية عالية لكتاب كبار محترفين.

اندماج د. الرزاز الكبير وشغفه بالفن دفعه للمجازفة والتحدى وارتكاب تصرفات قد تبدو غريبة للبعض ولكنها بالنسبة للمبدع ليست كذلك: فقد قرأ ذات يوم أن ”مايكل أنجلو“ كان يتعاقد مع أصحاب المقابر من أجل استخراج الجثث ليلاً ليقوم بتشييحها، وإذا به و هو يسير بالطريق وجد كلباً ميتاً فأخذه ووضع بحجرته وقام برسمه إلى أن فاحت الرائحة وقام أهله بمعاقبته بالضرب.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل قام بمجازفة أخرى عندما وجد حجر معصراني، فقام بنحته بآلة حادة أدت إلى إصابته. أكدت هذه الأمور على شغفه وحسه الفني المبكر، واستمر هكذا حتى أنه وفي المرحلة الثانوية أرسل مدرس الرسم خطاباً لأسرته يخبرهم بأنه موهوب في الفن. تلك الأسرة التي كانت تشعر بأنه سيكون عاهة العائلة. نظراً لتفوق أبنائها في

دراساتهم العلمية فيما ينشغل ”الرزاز“ بهوياته الفنية ومن ثم كان والده يقوم بعملية تفتيش دورية على حجرته ومحو كل أثر بها للفنون.

### الاتحاق بكلية التربية الفنية

التحق د. الرزاز بكلية التربية الفنية، وعند إجراء امتحان القدرات حاول كل رئيس قسم استقطابه للقسم الذي يتبعه. نظراً لتفوقه. و كان الفنان سعد الخادم أستاذه المقرب. وقد اعتادت الكلية تنظيم رحلة كل عام إلى الأقصر وأسوان. وفي عام ١٩٦٢ أخبره زملائه برغبتهم في زيارة النوبة. فطلب من ”سعد الخادم“ المساعدة في السفر لهذه الرحلة، وبالفعل قام الأخير والكاتب الكاتب يحيى حقي بتحمل نفقات الرحلة وسافرا مع الطلاب إلى النوبة بمركب خاصة، وشاهدوا النوبة بصورتها الجميلة. ليصاب الرزاز بذهول و جنون بالنوبة، شعر وكأنه أكتشف كوكباً جديداً. عندما عاد للقاهرة رسم لوحات وعرضها في ”صالون القاهرة“ وكان أهم معرض في ذلك الوقت يتبع لجمعية محبي الفنون الجميلة، وفوجئ بحصوله على الجائزة الثالثة. وحدثت له صدمة مفرحة ولكنها منحتة إحساساً بالمسؤولية، وبأنه أصبح فناناً فبدأ العمل والرسم بصورة كبيرة، والحصول على جوائز.

### علاقته بسعد الخادم وعفت ناجي

شكلت علاقة د. الرزاز بأستاذه سعد الخادم وزوجته عفت ناجي علامة بارزة في حياته الفنية. فقد كان ”الخادم“ الخبير والرائد في الفن الشعبي المصري، فضلاً عن كونه فناناً حدثي يعمل في الفنون الحديثة والتي لم تكن معروفة بمصر آنذاك، فكان يحضر كتباً من الخارج. فيقوم الرزاز والذي كان يعمل معه كمساعد باحث بمطالعتها. بل كان وافر الحظ حيث مكث معه أحياناً في منزله ويتعلم على يديه ويستمتع بمناقشة أستاذه الفنية مع الفنانة عفت ناجي. تعلم كيف يستخدم الفنان أي خامة فأصبح لديه انفتاح أكبر على المجال الفني. عندما عُين معيدا قرر مع زميله الفنان محمود السطوحى، والذي يمتلك نزعة اشتراكية و فضلاً عن كونه مثقفاً ومقرباً من أستاذه أيضاً، استخدام الطباعة الأحادية ”الملوتاييم“ بخامات بسيطة. علمهم ”الخادم“ إيها ليوصل اهتمامه بالفنون. فأمتلك دافعاً ذاتياً للعمل طوال اليوم. وهو ما جعله وعمره الآن ٧٣ عاماً، يحرص يومياً على الرسم. لمدة تصل أحياناً ٨ ساعات متتالية.





Untitled 4, 1970's, acrylic on canvas, xxxxx. Courtesy of the artist.

أسس جماعات فنية كبيرة، شفيق رزق، مصطفى الأرنؤوطى، كمال عبيد، عبد الغنى الشال.

الأمر الثانى: أن الفنان الشاب عندما يعمل مع أساتذة كبار مهما تقدم وتحقق فلن يغتر، لأنه مهما قدم فلن يكون شيئاً بجوار هؤلاء الأعلام فتعلم التواضع القسرى. كل فنان علم طلابه بطريقته. وتعرف مبكراً بأن هناك أكثر من مذهب وطريقة للعمل الفنى، وكل طريقة تقدم فناً عظيماً.

لعبت د. الرزاز دوراً هاماً فى تأسيس كليات التربية النوعية فى معظم محافظات مصر. فعندما ذكر رئيس جامعة حلوان بأنه تنفيذاً لأوامر الرئيس السابق محمد حسنى مبارك عام ١٩٨٦ سوف يسعى لزيادة كليات التربية بصرف النظر عن جدوى هذا القرار أو عدمه. حينها شعر بأن هذا الأمر يهدد كليته بل يعرضها إلى أن تتحول إلى مجرد قسم داخل كلية ضعيفة مبتدئة. فقام بمظاهرات مع زملائه الذين قدموا استقالة جماعية. ثم التقوا وزير التربية والتعليم انذاك الدكتور أحمد فتحى سرور، والذى تفهم الأمر. و قدم "الرزاز" دراسة حيث اتصل مع زملائه بالجامعات الأمريكية واحضروا بياناً يشير إلى أن هذا النوع من الدراسة مستقل، و كتب فى دراسته أن هذه الكلية ذات طبيعة نوعية من هنا جاءت أسم "كلية التربية النوعية" لأنها تقوم بتدريس مواد لها مناهج نوعية ومختلفة و تحتاج لمقررات ومناهج علمية. فاقنتع الوزير وقام بعمل خطة لإنشاء كليات التربية النوعية واستدعى "الرزاز" وكلفه بتنفيذ برنامج لإنشاء هذه الكليات و عين عميداً للتربية النوعية بالدقى. أنشأ الكليات ووضع القواعد والمناهج والمقررات، وأرسل البعثات واستمر الأمر إلى أن تخرج من الكلية أساتذة. ثم تم ضم كل كلية نوعية إلى الجامعة التى توجد بنفس المحافظة فأصبحت تابعة إلى التعليم العالم فيما كانت تتبع وزارة التربية والتعليم سابقاً.

#### رئاسته لهيئة قصور الثقافة

تولى د. الرزاز رئاسة قصور الثقافة عام ١٩٩٨، ولأنه يفضل العمل الميدانى، قبل هذا المنصب بعد اعتذاره عن وظائف عديدة بالوزارة، وعندما أشار الفنان فاروق حسنى إلى أن هذه الهيئة مليئة بالفساد فأخبره بأنه سيعمل على القضاء على هذه الظاهرة، وبالفعل عمل بالهيئة ورسخ عدة مبادئ للعمل بها. لمدة عاميين قضاهما بهذا المنصب. والغريب أنه رغم أن هذا المنصب تحديداً يستنفذ وقت المسئول ألا أن د. الرزاز قدم خلالهما إنتاجاً غزيراً، ولما لا والفن والقراءة بالنسبة له جزء من إيقاعه اليومى، حيث قام

#### الرزاز.. "إذا استوقفته إشارة مرور سيقوم بالرسم"

لهذه المقولة قصة. فقد عقد الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة الأسبق عام ١٩٦٦ اجتماعاً للمسرحيين والسينمائيين والأدباء والشعراء والتشكيليين بالقاعة الكبرى بالغرفة التجارية. ودعا إليه مجموعة من شباب الفنانين أنذاك الرزاز وصديقه فرغلى عبد الحفيظ، و يسبقهم عمراً من الحاضرين محمود سعيد وراغب عياد وأحمد صبرى، ومن الجيل التاك حامد ندا وعبد الهادى الجزار وعفت ناجى، فانكمش "الرزاز وفرغلى" وجلسا فى الخلف، وانتقد فى حديثه لصديقه الحاضرين الذين يشكون عدم تدعيم الدولة لهم والتهديد بالامتناع عن الرسم. فيما أشاد بموقف عفت ناجى والتي قالت اعتراضاً على ما سمعته من زملائها بأنها سوف ترسم حتى أحر يوم بحياتها لأن الرسم بالنسبة لها أداة للتنفس وبدونه ستموت. ثم انتبه إلى أن معظم الأسماء الكبيرة من الحاضرين لم تعد ترسم من حوالى ٣٠ عاماً. وتساءل: لماذا لا يرسم الفنان طوال حياته؟ فأصيب بغوبيا شديدة، أن يحدث له سبب يمنعه من الرسم. لذلك حرص على ممارسته الفنية كل يوم. وعندما كان يعطى محاضرات لطلابه يقول لهم أن الفن مثل "الخل الوفى". إذا انقطعت عنه لمدة ثلاثة أيام يبتعد عنك، فكن حريصاً على الرسم كل يوم.

وعندما التحق الرزاز بالجيش فى يناير ١٩٦٨ حدث له الفزع الأكبر من عدم استطاعته الرسم وهو مجند، نظراً لتعوده على رسم لوحات كبيرة، وتساءل: أين سيرسم أو يجد لوحات بحجم كبير. ولكى يتغلب على هذه المشكلة عود نفسه على أن يقطع ورقاً بحجم كف اليد لكى يضعها فى جيب سترة الجيش، واحضر علبة ألوان صغيرة، وخلال وجوده فى المعسكر كان يقتنص أى لحظة فراغ للرسم حتى أصبح لديه كم كبير من الرسومات. وبعد إنهاء خدمته العسكرية اعتاد على هذا الأمر. حتى أنه كان يرسم خلال سماعه المحاضرة بالدراسات العليا. لدى "الرزاز" مصطلح اسمه "البالطة الطرية"، بمعنى انه بم رسمه ألوان مفتوحة، فطول الوقت يرسم ويعود نفسه على وضع محفزات للرسم طوال الوقت

#### العمل الأكاديمي و تأسيس كليات التربية النوعية

كان د. الرزاز احد المحظوظين هو و زملائه لالتحاقه بكلية التربية الفنية، وتلمذه على إيدى نجوم الفن و كبار الأساتذة مثل يوسف العفيفى والذى

بتركيب كشاف في الكرسى الخلفى لسيارته ورف للقراءة والرسم أحياناً. ذلك نتيجة للربح الذى تملكه منذ البداية من ترك الرسم أو الانفصال عن الفن. بعد خروجه من الهيئة كان يذهب للعمل بمرسمه أو لمعمل النحات حليم يعقوب من الساعة ٢ إلى ٥ مساءً ثم يعود للهيئة لاستكمال مهام العمل مرة أخرى.

#### جماعة المحور

قبل سفره لأمريكا للحصول على الدكتوراه عام ١٩٧٩ كان د. الرزاز وزملائه يلتقون كل خميس لدى كل فنان فى مرسمه مثل محى الدين حسين، محمد طه حسين، عبد الرحمن النشار، أحمد نوار. يجتمعون ويتحدثون فى السياسة والفن والأدب بحضور أدباء. فكان بمثابة صالون ثقافى. ثم سافر للدراسة، وبعد عودته وجد أن هذه المجموعة تفككت واقتصرت على "نوار والنشار وعبد الحفيظ والرزاز". ليلتقوا فى بيت كل فنان كعائلة. وذات مرة كانوا يتحدثون عن أحوال البلد بعد الانفتاح وارتباك بنية المجتمع وصعود السبك والجزار كنجوم المجتمع وتوارى الفنانين وسفر بعضهم للخارج. كما وجد أن بعض الشباب الذين كان يقوم بالتدريس لهم قبل سفره قد انحدر مستوى طموحهم وأصبح لديهم روح تجارية مبتذلة. فشعرو بالمرحمة كبير دفعهم للتفكير فى عمل شئ فى مواجهة هذه القضايا. فأسسوا "جماعة المحور". والتي جاء فى المقدمة الأولى التأكيد على السعى لإعطاء مثال للشباب وهو أنهم يقومون بعمل مشروع كبير مكلف دون النظر عائده المادى. وكيف يمكن للفنان أن يضحى حتى بما يملك دون أن ينتظر مقابل. قدمت الجماعة المعرض الأول، وكانت الفكرة تكمن فى عمل مشاريع ضخمة تضم قراءة جديدة للفن. وكانت للمرة الأولى فى الحركة الفنية المصرية التى يتم فيها طرح أفكار "ما بعد الحداثة فى الفن" بأسلوب مصرى. تشكلت جماعة المحور من أربعة فنانين، بنى كل فنان لنفسه شخصية فنية مستقلة. تمثل هدفهم فى أن يحافظ كل فنان على أسلوبه ولامحه الشخصية وفى الوقت ذاته تقديم عمل يبرز فيه أسباب التضافر والالتئام. وهذه هى قوة الجماعة. كما كانت تجربة مهمة فى زرع اتجاهات وأساليب جديدة فى الفن. بعد ذلك عند التأسيس لصالون الشباب شكلت المحور مفتاحاً خاصاً بالصالون، حيث تم العمل بمنهج بالأفكار الحداثية. وفى الوقت ذاته عبرت عن نفسها وأفكارها الاجتماعية والتأكيد على أن الفن هو من يبنى مستقبل مصر وقيمتها.

#### الرزاز.. خلايا فنية متعددة

د. الرزاز فنان شامل برع فى مجال الرسم، النحت، التصوير، الجداريات،

الجرافيك والخزف. وجاء ذلك من منطلق إيمانه بأن التخصص الدقيق فى الفن يضر الفنان. كونه يحصره فى دائرة معينة من التعليم، وفيما ينفع أو لا ينفع. مهما كان موهوباً يصبح محدوداً داخل الإطار الذى يتعلمه كمتخصص. كل مادة تعامل معها أكسبته خبرات عديدة. ومن ثم كان التنوع مبتغاه. عندما عمل بالليثوغراف استفاد من خبراته كرسام. وفى الرسم استفيد من خبراته فى الطباعة.. الخ.

#### الأسطورة والحس الشعبى فى أعماله

تشرب د. الرزاز تأثره بالأسطورة والحس الشعبى من أستاذه رائد الفن الشعبى فى مصر سعد الخادم. فطبيعته عمله من النوع البحثى التجريبي. اعتاد القيام بدراسات عن الفنون الشعبى والإسلامية لاكتشاف الأشياء التى لم يكتمل ذروة ازدهارها لمحاولة استكمالها. رسم عن السد العالى والنوبة والفن الإسلامى عالقاً بذهنه. كما رسم دراسة لما يسمى بـ"شبابيك القلل الإسلامية" ومن خلالها تعلم علاقة الشكل بالفراغ. ثم درس من الخط العربى على شواهد القبور الملكية التى يُكتب عليها هذا الخط. درس الفراغ الذى بين الحروف نفسها. وكون عناصر خاصة به أستخرجها من الفن الإسلامى. عندما يتعلم شئ يحدث له رؤية تنعكس على أدائه. وخلال العمل تزحف على لوحته كل الخبرات والتقنيات التى عمل بها.

#### الكتابة عن الفنانين وصادر الكتب

عندما يكتب د. الرزاز عن فنان لابد أن يكون قد كون خبرة حقيقية عنه. يعشق الكتابة لأنها ترجمة للخبرة الحية الخاصة به عن الفنانين. على سبيل المثال قدم كتاباً بعنوان "خمسة فنانين من مصر" عن آدم حنين ومحيى الدين حسين ومصطفى أحمد والجزار. فذكر بمقدمة انه حصيلة دراسات أجراها فى الثلاثين عاماً الماضية.

وعندما كتب عن د. النشار بعد وفاته كتاباً. دخل حجرته وطلب من زوجته الدكتورة زينب السيجينى إحضار جميع الرسومات التى قدمها الفنان الراحل. وفحص مکتبته وما يقوم بالتعليم عليه. وعرف اتجاه اهتمامه. وتعمق داخل شخصيته وتتبع مراحل تطوره. هكذا اعتاد عند كتابته عن أى فنان..

#### مازال د. الرزاز يواصل عمله مؤكداً بأن الفنان الذى يعتمد على تجربته

فقط يكرر نفسه ينهى مشواره بيده..





1. Untitled 1, 1960's, acrylic on canvas, xxxxx. Courtesy of the artist.  
2. Untitled 2, 1960's, acrylic on canvas, xxxxx. Courtesy of the artist.